سلسلة محاضرات نوعية لطلاب العلم بمعهد آفاق للبناء العقدي



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له...وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صل عليه وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وآله كما باركت على آل إبراهيم.

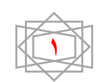
قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

فالحمد لله على نِعمِه والحمد لله أن جمعنا على طلب الكتاب والحكمة وزيّن ذلك لنا وقد قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأهل الإيمان فرحٌ بإيمانهم وانشراحُ صدر بطاعة الله أعظم من فرح أهل الفسوق وسعادتهم بما هم عليه، فربُ العالمين يزين الإيمانَ والعمل الصالح لأهل محبته، والشيطانُ يزين لأتباعه الكفر والفسوق والعصيان قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾.

فالحمد لله، الذي مَنّ علينا بطلب الوحي وصرف قلوبنا إلى طلب الفقه في الدين؛ فلولاه ما اهتدينا، فاللهم ربنا كما جمعتنا على الفقه في الوحي وبيانه من سنة نبيك ﷺ فاجعله ابتغاءَ مرضاتك وفي سبيلك واربط على قلوبنا واهدنا إلى الحق وأشرح صدورنا له وانفعنا به، واقبضنا إليك غير مفتونين ولا تجعلنا ظهيرا للمجرمين.

وبعدُ فأنا والله في سعادة كبيرة بلقائي الأول بكم أيها الطلاب الكرام -بمعهد آفاق للبناء العقدي -حول معاني إصلاح القلب وسُبل تحصيل العلوم والانتفاع بالمعرفة.

وأقول: إن إدارةَ (جامعةٍ / معهد) تعي أهميةَ تلك المعاني وتحرص على تذكير الطلاب بها ومتابعتِهم في ذلك لهم على هدى، وتدرك أن التعليم رسالة وعبادة لله تعالى ليس مجرد وسيلة لنيل شهادة أو الحصول على عمل، وتدرك مسؤوليتَها في إصلاح طلابها وتزكية نفوسهم وتهيئتهم للحياة الدراسية، وإن طالبا يفرح بمثل هذه الدورات ويطلبها لهو واللهِ حقيق إن شاء الله بأن يُهدى إلى خير ما ينفعُه ولن يُضيعهَ الله الأكرم.



فإن من أخص ما أسعى له مع طلاب العلم تطبيب نفوسهم لتلقي العلم؛ لذلك كانت هذه السلسة وأرجو أنها نوعيةٌ في بناء طالب العلم وتكوينه (إيمانيّا وخلقيا ومهاريا ومعرفيا)، والتي أحببتُ أن أبدأها بتهيئة المسلم والمسلم لمشروع الفقه في الدين =

تلك المقدمات التي تُبصّره بمقاصد الطلب والمعاني التي يجب أن يستحضرها ومعايير تقييمه لنفسه وفيه جملة من المعوقات التي جمعتها باستقرائي لأحوال طلاب العلم زمالة وتدريسا وكانت سببا في انقطاعهم عن طلب العلم أو عدم تحقيق ثمرته الإيمانية أو الخُلقية أو المعرفية أو المهارية.

وأنا أُحب أن يُضاف على برامج إعداد طلاب العلم في المعاهد والجامعات والمدارس برنامج لتهيئة الطالب للحياة الدراسة أو يكون كدليل في يده يعرف مقاصد الطلب وحقوقه وواجباته وخارطة العلم والمهارات وغير ذلك مما يرشّد الحياة الدراسية لا سيما من يمارسون التعلم الذاتي لا يتوفر لهم مشايخ يخالطونهم ويتابعونهم ويزكونهم.

حديثي معكم بإذن الله تعالى في مقدمة دورات رفع كفاءة طالب العلم في محاور:

- ✓ **الأول:** لماذا هذا النوع من المحاضرات.
- ✓ **الثاني:** هداية الإنسان في العلم بما خُلق له.
- ✓ **الثالث:** الوحي هو سبيل الهدى وأعظم المعارف.
- ✓ **الرابع:** الفقه في الدين أشرف المطالب.
- ✓ **الخامس:** تهيئة النفس للانتفاع بالمعرفة.
- ✓ **السادس:** ظاهرة قلة الكفاءات العلمة والتعليمية والدعوية والإصلاحية.
- ✓ **السابع:** شرح برنامج الدورات.

(١) لماذا هذا النوع من المحاضرات؟

- ✓ حتى يُعطِيَ طلبُ العلمِ ثمرتَه المرجوّة.
- ✓ حتى يكونَ طلبُ العلم قُربة إلى الله تعالى وعملا صالحًا؛ ليس وسيلةً لدُنيا (شُهرةٍ، مالٍ، منزلةٍ).
- ✓ حتى يكون طلبُ العلم قِيمةً مركزية في حياة الطالب، ومشروعَ عُمُرٍ؛ ليس أمرًا ثانويا يُعطى فضولَ الأوقات.
- ✓ حتى يكون وسيلةً لإصلاح النفس وإصلاح المسلمين؛ وليس مجرّد جمعِ معلومات ومعارف.
- ✓ حتى يكون الطلبُ منهجيًا؛ وليس عشوائيًا.
- ✓ حتى يكون طالبُ العلم (القويَّ الأمينَ) في مجاله.
- ✓ ليتحوّلَ الدرسُ العلمي من عبءٍ ومَلل إلى مُتعةٍ وقُرّةِ عينٍ.
- ✓ ليتحوّل الدرسُ العلميُ من تحفيظٍ وتلقين إلى مُدارسةٍ وفهْم ومُشاركة وتفاعُل.
- ✓ ليتحوّل الطالب من مُجرّد مُستمعٍ مُستهلكٍ إلى مُشارِكٍ فعّالٍ مُنتجٍ ومُبدعٍ.
- ✓ ليتحول التقييم من مجرد قياس مدَى تذكُّرِ الطالب للمعلومة إلى قياس (خُلُقه، وذكائه) وقدرته على (الفهم والتحليل والتطبيق والحفظ والبحث والاستدلال والتقرير، والإلقاء والعرض والنقد والمحاورة والنقاش والكتابة، والإبداع ...)
- ✓ ليُؤدي طالبُ العلم دَورا فعّالا في الإصلاح.

وأرجو أن تتحقق تلك الثُلاثيّةُ: ((القلبُ السليم، العقل الحكيم، والمعرفة الصحيحة))

وكم كنت أُحب أن ينصحني من سبقني إلى طريق الفقه في الدين ويُبصرَني ويوجهَني ويتعاهدَني بالتذكير بتلك المعاني وكنتُ أفرح كثيرا بذلك –مع قلة من ينصح بمثله–وأراه أعظم من مجرد جمع المعلومات والمعارف فإن المعارف إذا لم ترد على قلب سليم وعقل حكيم فما تزيدُ صاحبَها غير تخسير.

(٢) هداية الإنسان في العلم بما خُلق له:

- كيف أتيتُ إلى الدنيا؟
- ولماذا؟
- وما هي وسائل المعرفة التي أميّز بها الخير من الشر والحقَ من الباطل؟
- وماذا بعد الموت؟

إن أعظمَ ما يُوفَّقُ له أنسانٌ في حياته أن يعرف الجواب عن تلك الأسئلة ويعمل بها ولها فإنه يسعد ويطمئن قلبه بقدر علمه وسعيه.

والضلال والاضطراب والحيرة تحصل للإنسان بواحد من الأمور التالية:

- ✓ أن يُعرض عن النظر في آيات الله تعالى في الكون وفي نفسه.
- ✓ أو في ظنه أنك خلقت بغير رب.
- ✓ أو ظنه أنه مخلوق بلا حكمة، وأنّ خالقَه خلقه عبثا أو لهو أو لعبا، وتركه سدى.
- ✓ أو تركه بلا هداية.
- ✓ أو في إنكاره للبعث والجزاء.
- ✓ أو في أن يعبد غير خالقه.
- ✓ أو يعرفُ الحق ويجحدُه استكبار وعلوا أو حسدًا.
- ✓ أو يتركه حبا في الدنيا واتباعا لأهوائه.

وقد ذكر الله أولئك الغافلين وأبطل ظنونهم كما في قوله تعالى:

- ✓ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾
- ✓ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾.
- ✓ ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾.

وعن الذين أقروا بالخالق وكذبوا الوحي أو ادّعوا النبوة كذبا أو زعموا أنهم يأتون بالوحي من أنفسهم:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

أما من علم ذلك فتركه واتبع هواه:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

ولو بلغ إنسانٌ من متاع الدنيا ما بلغ وعنده واحد من تلك الظنون فهو من شر البرية عند الله وهو كالأنعام يتمتع ويأكل:

- ✓ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.
- ✓ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

ولم يبق له وزن عند الله تعالى:

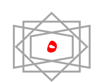
﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ إذ جهل أو غفل عن أعظم مطلوب، وصدق الله تعالى ﴿قُتل الإنسان ما أكفره﴾

لذلك كان أعظم ما يميز عبدًا من عباد الله التفكرُ في آيات الله والعلم بأن لها خالقا يُحمد ويُشكر ويُطلب الهدى منه وإيمانُه بالله وحكمتِه وخلقِه وأمرِه ورسله ووحيه وجزائه والسعيُ في طلب ذلك، فهؤلاء عند الله هم خير البرية ولا يستون أبدا بأولئك المجرمين:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقد خلقَ اللهُ الإنسان لعبادته:

﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾.



(٣) سُبل المعرفة:

وقد جعل الله تعالى للعبد سبل بها يعرف الخير من الشر ويصل بها إلى المعرفة والهدى منها:

✓ **الفطرة:**

فإن الله تعالى فطر عباده على العلم به والاستسلام له والافتقار إليه قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]،

وهذه الفطرة ميزان يزن به الإنسان أفعالَه وغيرها، ويشعر بحُكمها:

- فإن فَعَلَ ما يوافق فطرتَه مثل: (الصدق، مساعدة المحتاج، إكرام الضيف، ونحو ذلك) شعر براحة وفرح.
- وإن فعل ما لا يوافق فطرته مثل: (الظلم، والكذب والسرقة، ونحو ذلك) شعر بألم وحزن، وهو معنى قول النبي ﷺ: "وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ".

لكن تلك الفطرة وإن كانت من سبل المعرفة فالمعرفة بها مجملة ليست تامة ولا شاملة وهي قابلة للتَّغير والتَّأثُر:

قال النبي ﷺ: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ".

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا".

وقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾

فالفطرةُ قابلة للتغيّر، وكذلك فالمعرفة بها ليست تامةً شاملةً، فلا يزالُ الإنسان بحاجة إلى مزيد من سبل العلم.

ومن سبل العلم: ((السمع والأبصار والأفئدة))

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

وذكر أقوامًا لم ينتفعوا بهذه النعم محُذِّرًا من فعلهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقال: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن كانت تلك الوسائل للإدراك فإنها تبع للقلب وهو ملكُها:

لكن العقل الذي هو من أعمال القلب كأي وسيلة للمعرفة مثل البصر، والسمع، ونحوها له مجال محدود لا يتعداه.

فالعين مثلاً: من مجالها المسموعات، مجالها المرئيات، فالعقل كذلك ليس من مجاله الغيبيات في الماضي والمستقبل ونحو ذلك مما لا يدركه العقل، فإن أعمل الإنسان فكره في غير موضعه تخبط وتحير كما حصل لكثير من المفكرين والفلاسفة وانتهى بهم إلى الإلحاد.

والعين مهما كانت قوية فإنها عند بعد معين لا ترى، فكذلك العقل له مجال محدود، وكذلك فالعقل قد يخطأ الظن وكذلك فالعقل قد يرى الخير شرًا والشر خيرًا.

وكذلك فالعقول متفاوتة في الذكاء والقدرة على المعرفة، وكذلك فهي تختلف كثيرًا؛ هذا يستحسن ما يستقبحهُ الآخر، ويرى الخير المحض في شيء يراه الآخر شرًا خالصًا، فلأجل ذلك كله (مجال العقل محدود، وقد يخطأ، والعقول متفاوتة في القدرة على المعرفة، وتختلف كثيرًا).

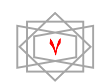
فلو تُرك الحكم للعقل وحده لحصل شرٌ عظيم كما في قوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾، فيبقى الإنسان بين ظنٍ في الأخبار واتباع للأهواء في تصرفاته؛ لذلك جعل الله تمام الاهتداء بالوحي فهو الهدى والنور قال تعالى: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وأمر سبحانه أن يكون المَرَدُّ إلى حكمه عند التنازع والاختلاف: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأذكى الناس عقولًا وأزكاهم نفوسًا وأحسنهم قصدًا هم رسلُ الله عليهم السلام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

ومع هذا فليس اهتداؤهم من أنفسهم بل بفضل من الله وبوحي من الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وقال يوسف عليه السلام عنه وعن آباءه: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقال الله للنبي محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]، قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وكان النبي ﷺ يرتجز ويقول: "اللهم لولا أنت ما اهتدينا" ، بل أمر الله نبيه ﷺ أن يبين ذلك للناس: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠].



وإنما فُضّل الأنبياء بالوحي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

لذلك أرسل الله تعالى الرسل عليهم السلام وأوحى إليهم ما يهتدون به ويهدون الناس ولتذكير من نسي وتنبيه من غفل وإقامة الحجة على من جحد وإنذاره وتبصير المؤمنين وتبشيرهم، وإنذار المعرضين والبيان والبلاغ والتعليم وبيان تفاصيل الإيمان والعمل وإقامة البراهين بما معهم من الوحي الذي هو هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، موعظة للقلوب، وشفاء لما في الصدور من مرض أو شك، ويقين يزيح الشبهات عن القلب، وتقوى بها تُنهى الأنفسُ عن الهوى.

عن المغيرة ابن شعبة عن النبي ﷺ قال: "وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ" البخاري.

(٤) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

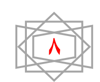
وآيات الله في الوحي و في خلقه سُميت: ((آيات)) و((حُجَجا)) ((العلم)) و ((براهين)) و ((سلطانا)) ((بصائر)) و((بينات)).

وهذه الألفاظ جميعها أبلغ في الدلالة على معنى الاحتجاج والظهور والبيان بينما لفظ ((الدليل)) يتضمن معنى الإرشاد والتوجيه فقط ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

وهو الموعظة والشفاء لما في القلوب من شبهة أو شهوة وهو الرحمة والهدى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، **لذلك اخترت أن يكون تعليم الإيمان منه.**

فالقران هو الدليل والمدلول يحمل في نفسه براهينَ صدقه وعدله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

وهي دعوة إبراهيم وولدِه أن يكون النبي واتباعه على الوحي ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.



هو أعظم الآيات عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

فرجا أن يكون الآية الباقية وهو كذلك وبه الكفاية لكل عاقل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

ولا يتم الهداية به إلا ببيان النبي محمد ﷺ ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾، وهو ترجمان عملي للقرآن: (ألست تقرأ القرآن. كان خلقه القرآن))

وإذا كان الوحي وبيانه من هدي النبي تبيانا لكل شيء يحتاجه المؤمن فإن أعظم ما جاء بيانه هو الإيمان؛ فكتاب الله وبيانه بهما يقوم الناس بالقسط: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

فقد أنزل الله تعالى على نبيه محمدٍ ﷺ هذا الكتاب؛ ليكون للناس الهدى الذي يُعصمون به من الضلالة، والنورَ الذي يضيء لهم ظلمةَ الطريق، والزادَ لصلاحهم في دنياهم ونجاتهم في أخراهم؛

قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]،

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]،

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وأمر سبحانه بالإيمان بهذا القرآن: كما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وأمر بتلاوته وتدبره وفهمه:

كما قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢].

وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وأمر باتباعه والعمل به، كما:

قال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وأثنى على أهله:

فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وحذّر سبحانه من الإعراض عنه وتوعد:

فقال: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١].

وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٧].

وفي السنن الثابتة عن رسول الله في الأمر بتعلّم القرآن والحثّ على حمله وحفظه والتمسّك به:

ما هو على الوفاق لما جاء به كتاب الله تعالى من ذلك مما يزيد المؤمنين طلبًا له، وتسابقًا إلى نيل الدرجات بتحصيله.

- فعَنْ عُثْمَانَ بن عفان، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) أخرجه البخاري. -وفي لفظ: "إن أفضلكم".
- وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟))، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُعَلِّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)) أخرجه مسلم.

(٥) شرف الفقه في الدين:

طلب الفقه في الدين من أعظم العمل الصالح، وأهلُه خيرُ المُنتفعين من رسالة الإسلام:

- عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ). البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
- عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا: نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)).

ومن هدي الأئمة:

التذكيرُ بذلك تصبيرا لطلاب الفقه مع التنبيه على النيّة والإرادة في الطلب والاستعانة بالله عليه وتخطي العقبات

وأجمل ما جاء عن الأئمة في ذلك وأجمعُه عندي ما ذكره الإمام الشافعي في مقدمة رسالته لعبد الرحمن بن مهدي رحمهما الله: ((فكلُّ ما أنزلَ في كتابه جلّ ثناؤه رحمةٌ وحجةٌ، عَلِمه من علمه، وجَهِله من جهله، لا يعلمُ من جهله، ولا يَجهل من عَلِمه، والناسُ في العلم طبقاتٌ، موقعُهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به.

فحقٌ على طلبةِ العلم بلوغُ غايةِ جهدِهم في الاستكثارِ من علمه، والصبرُ على كل عارضٍ دون طلبه، وإخلاصُ النيةِ لله في استدراك علمه: نصا واستنباطا، والرغبةُ إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدرك خيرٌ إلا بعونه

فإن من أدرك علمِ أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا، ووفقه الله للقول والعمل بما علمه = فاز بالفضيلة في دينه ودنياه وانتفت عنه الرِّيَب ونوّرت في قلبه الحكمةُ واستوجب في الدين موضع الإمامة.

فنسأل الله المبتدئَ لنا بنعمه قبل استحقاقها المديمَها علينا مع تقصيرنا في الإتيان إلى ما أوجب به من شكره بها الجاعلَنا في خير أمة أُخرجت للناس= أن يرزقنا فهما في كتابه، ثم سنةِ نبيه، وقولا وعملا يؤدِّي به عنا حقه ويوجبُ لنا نافلةَ مزيدة.)).

ومن جميل ما جاء، وفيه رعاية المُعلّم بتلميذه:

قال الفِربْري أملى عليَّ البخاريُّ حديثا كثيرا فخاف ملالي / الملل: ((طِبْ نفسًا، فإنَّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهلَ الصِّناعات في صناعتهم والتجارَ في تجاراتهم، وأنت مع النبيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم –وأصحابِه)) .

(٦) تزكية النفس وتعلم الإيمان مقدمة الانتفاع بالمعرفة:

تناول الوحي قضية العلم والمعرفة من جهة طريقة التلقي وأثره على صاحبه، فمع بيان أن الوحي هدى وبينات وشفاء ورحمة ونور إلا أنه قد بيّن أن العلمَ وسيلةٌ ومقدمةٌ وليست غايةً ونهاية.

وجاء التأكيد على أمرين في قضية المعرفة والعلم:

✓ **الأول: الوعاءُ الذي يتلقى العلمَ، الذي هو موضع الأخذ والعطاء:**

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ *لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾،

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ *وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ شبه الوحي بالمطر ينزل على التربة، ومنها الطيب ومنها الخبيث، والبلدُ الطيبة تربته، العذبةُ مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا، بإذنه، طيبًا ثمرُه في حينه ووقته. والذي خَبُثَ فردؤت تربتُه، وملحت مشاربه، لا يخرج نباته إلا نكدًا، إلا عَسِرًا في شدة، ولا منفعة فيه،

وهذا مثل ضرَبه الله للمؤمن والكافر، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، مثل للمؤمن = والذي خَبُث فلا يخرج نباته إلا نكدًا، مثلٌ للكافر.

وبيانه في حديث عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا: نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ،فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)) القلب والتربة : منبتُ الزرع، ومأتَى الثمر.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ولقد كان أصحاب النبي ﷺ أحرصَ الناس على الاعتصام بهذا الكتاب، وأعلمَ الناس به، وأعرفهم بما يجب في حقه من العناية، فحري بمن بعدهم أن يسلك هُداهم في ذلك، وأن يعرف عنهم كيف كانوا يأخذون هذا القرآن، فإنهم القوم الذين كانوا يُغذون به في الليل والنهار، يُصبحهم النبيُّ ﷺ ويمسيهم بجديده، ولم تكن الكتابة شائعةً، ولا المصاحف موجودة مهيَّأة كما صارت لمن بعدهم، فهم على حفظه في الصدور يومئذ كانوا أحوج ممن بعدهم، فكيف كانوا يحفظون؟ **هذا ما نتبيَّنه فيما يأتي من صحيح الأخبار:**

- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ، أَنَّهُمْ كَانُوا ((يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذَا مِنَ الْعَمَلِ))، قَالَ: ((فَعَلِمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ)). أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩٢٠).

ففي هذا أن الحفظ عندهم كان مقترنًا بالعلم بالمحفوظ، وامتثال ما فيه من الأمر والنهي والاعتبار وغير ذلك، فكانوا لذلك يأخذونه عشر آيات عشر آيات ليكونَ أيسر عليهم.

فلم يكن يشغلهم كثرةُ الحفظ كما صار إليه حال كثيرٍ ممن بعدهم، وإنما علموا أن هذا القرآن إنما أنزل للعمل، ولا عمل دون علم وفهم.

- عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، ((فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا)). أخرجه ابن ماجة وإسناده صحيح.

- ابنُ عمرَ رضي الله عنه لما قال: " لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ.

فالقلب هو آلة العقل والتفكر والتدبر والتفقه، العقل من أشرف أعمال القلب عملٌ يقوم به القلبُ:

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]،

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]،

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٩) الأعراف.

فالقلبُ: من أعظم نعم الله تعالى، وهو مُمتَحَنٌ كذلك، وهو أداةٌ يُعزى إليها معاني في المعرفة والعمل.

فالقلبُ: هو الذي يفقهُ ويعقلُ ويتدبّرُ ويُمتحَنُ وهو محل النظر والتفكر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، والصدق والكذب، والتصديق والتكذيب، والعمى والمرض والشفاء، والثبات والتقلُّب، والخَتْم، والزَّيغ، والامتحان، وكذلك الكسبُ والتعمُّد، والإثم، والتطهيرُ، والمعرفةُ والإنكار، وكذلك الحب والتآلُف، والبغض، والرضا والإباء، واللِّين والقسوة، والتوكل والرجاء والخوف والرُّعب، الفرح والحزن والسلامة والاطمئنان، والغيظ وغير ذلك.

وكلُ ذلك له أدلتُه من كتاب الله تعالى لا نُريد التطويل بذكرها

ومن الألفاظ التي جاءت في الوحي يُعزى إليها بعضُ تلك المعاني:

لفظ الفؤاد، والألباب، والأحلام والنُّهى، والحِجر، والصدر.

وباختصار فالقلبُ: مجمع الخير أو الشر في الإنسان وهي الباعث والمحرّك، وهي الأصلُ، ولم يجعل الله تعالى لأحد من الخلق سلطانا على قلوب العباد ولا يُمكن إكراهُ أحد على ما في قلبه.

ومن معاني قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ **أنه نفيٌ ونهي.**

- ✓ **نفي للإمكان** = بمعنى لن تستطيع إكراه أحد على الإيمان لأن محله القلب ولا سلطان لك عليه،
- ✓ **ونهي عن الإكراه المستطاع** = وهو إكراه الجوارح واللسان.

ولذلك قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. لأن الإكراه غيرُ ممكن على القلب، وهذا من حكمة الله ورحمته.

ولذلك فهو موضع نظر الله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

والعقلُ ذُكر على أنه وظيفة من وظائف القلب في المعرفة واتباعِها أعني: العملَ بموجِبها.

وبكلمةٍ فإن **القلب هو الأساسُ وبصلاحه يصلح سائر العمل، وهو محل الإيمان:**

ولقد جاء الحديث عن القلب ومكانته وأعماله وصفاته وأحواله وأسباب قوته وصحته وهدايته وأسباب ضلاله ومرضه وموته وعلاجه.

فالقلب هو الذي تُعرض عليه المعارف.

والتعبير بالأقفال والأكنة والطبع والختم، وسد منافذ الهداية على القلب، كل ذلك يشعرنا بأن القلب هو الذي يفتح أبوابه لسماع الحق أو يغلقها وهو يُطبع عليه فلا يصغى، أو تغشاه الغواش من حب الدنيا والإقبال على الشهوات فلا يستجيب لداعى الإيمان.

نلاحظ عندما يربط القرآن بين صمم الآذان وعماية الأبصار وإقفال القلوب، وكأن ذلك يحدث في وقت واحد مما يؤكد الصلة بين الحواس وبين القلب، فإذا رجعنا إلى مبحث العقل وجدنا الظاهرة نفسها حيث يأتي الصمم والبكم والعماية مع نفى صفة العقل، وهذا يؤكد ارتباط العقل بالقلب، وارتباط الإثنين معا بالحواس فإما هي مغلقة وإما هي مفتوحة على الحق والنور والهداية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال ابن تيمية رحمه الله مُعلقا على ذلك: ((التفريغُ والتخليةُ التي جاء بها الرسول أن يُفرِّغَ قلبُه مما لا يحبه اللهُ ويملأُه بما يُحبه اللهُ، فيفرغَه من عبادة غيرِ الله ويملؤه بعبادةِ الله، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله وكذلك يُخرِجُ عنه خوفَ غير الله ويُدخِل فيه خوفَ الله تعالى، وينفي عنه التوكلَ على غير الله ويُثبِتُ فيه التوكلَ على الله. وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يَمُدُّه القرآنُ ويقويه لا يناقضه وينافيه كما قال جندبٌ وابنُ عمرَ: " تعلمنا الإيمانَ ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا))

قال النبي ﷺ : «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»

فمن كان حسنَ الأخذ والتلقي كان حسن العطاء والإرسال ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ، ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فإذا كان القرآن وهو خير العلوم وأصدقها لا ينتفع به

الإنسان إلا بقدر صلاح قلبه وحكمته وزكاة نفسه فكيف بما دون من المعارف، وإذا كانت قلوب الصحابة تحتاج من الصلاح والتزكية لتلقي القرآن والسُّنن والانتفاع بها فكيف بمن دونهم.

✓ **ثانيا: أثر العلم على صاحبه:**

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْباب * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ *وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

آثار العلم:

- ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعلَمَاء﴾،
- قال النبي ﷺ: ((أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً)).
- عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))
- ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ*وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾
- عن ابْنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بن قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ -رضي الله عنه -، وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجْلِس عُمَرَ -رضي الله عنه -وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كانُوا أوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأذَنَ فَأذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ -ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. رواه البخاري.
- ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.
- ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ* لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾

الخلاصة:

القلبُ موضع العلم وهنا يأتي الحديث عن معنيين: سلامةِ القلب وحكمتِه. لحُسن تلقي العلم، وفهمه، والانتفاع به، وحسن استثماره، ووضعه في موضعه. ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾

عن حذيفة حَدَّثَنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما وأَنَا أنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: أنَّ الأمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ وحَدَّثَنَا عن رَفْعِهَا قالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأمَانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى فِيهَا أثَرُهَا مِثْلَ أثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ علَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وليسَ فيه شيءٌ، ويُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فلا يَكَادُ أحَدٌ يُؤَدِّي الأمَانَةَ، فيُقَالُ: إنَّ في بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أمِينًا، ويُقَالُ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ وما أظْرَفَهُ وما أجْلَدَهُ، وما في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ.

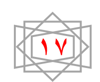
أنَّ الإيمانَ قدِ استقرَّ في أصْلِ قلوبِ الرِّجالِ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ بعد ذلك تَعلَّموا مِنَ القرآنِ ومِنَ السُّنَّة، فكانَ إيمانُهم هو السَّببَ في قَبولِهم بالأخذِ بِالقرآنِ والسُّنَّةِ، أمَّا الأمرُ الآخَرُ الَّذي لم يقعْ في زمانِ حُذيفةَ رضِي اللهُ عنه وكان ينتظرُ وقوعَه، فهو رفْعُ الأمانةِ من قلوبِ الرِّجالِ، أي: رفعُ ثمرتِها، حتَّى إنَّ الرَّجلَ ينامُ فينهضُ وقد قُبِضَتْ يعني رُفِعَ أثرُ الإيمانِ من قلبِه ولم يتبَقَّ منه سوى أثرِها الَّذي هو كأثرِ الوكْتِ، وهو الأثرُ اليَسيرُ كالنُّقطةِ، ثُمَّ ينامُ الرَّجلُ فينهضُ وقد نُزِعَ الإيمانُ وأثرُه من قلبه فلم يتبقَّ من أثرِه إلا مِثلُ المجْلِ، وهو النَّفَّاخاتُ الَّتي تَخرُجُ في الأيدي عندَ كثرةِ العملِ بِنحوِ الفأسِ، كجمرٍ دحرجتَهُ على رِجْلِك فنفَطَ فتراه مُنتَبِرًا وليس فيه شيءٌ، يعني: أثرُ ذلك مِثلُ أثرِ الجمرِ الَّذي يُقلَّبُ ويُدارُ على القَدمِ فيُخلِّفُ انتفاخًا على القدَمِ، وهذا الانتفاخُ ليسَ فيه شيءٌ صالحٌ، إنَّما هو ماءٌ فاسدٌ، يُريدُ أنَّ الأمانة تُرفعَ عَنِ القلوبِ؛ عقوبةً لِأصحابِها على ما اجْترَحوا مِنَ الذُّنوبِ، حتَّى إذا استيقظوا مِن منامِهم لم يَجدوا قلوبَهم على ما كانتْ عليه، ويَبقى فيه أثرٌ، تارةً مثلَ الوكْتِ وتارةً مِثلَ الْمَجْلِ،

إيمان ثم قرآن ثم أحكام وسنن

توطين النفوس وتعليم الإيمان بيان أثره وعاقبة الغفلة عنه:

لذلك كان رسول الله ﷺ يهيأ الشباب بالإيمان وتزكية النفس والتقوى فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه –كُنَّا معَ النَّبيِّ –ﷺ–ونحنُ فتيانٌ حَزاوِرَةٌ، فتعلَّمنا الإيمانَ قبلَ أن نتعَلَّمَ القرآنَ ثمَّ تعلَّمنا القرآنَ فازدَدنا بِهِ إيمانًا.))

عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا.



ظاهرة قلة الكوادر العلميّة والدعويّة (عرضٌ وتحليلٌ)

كثرة طلاب العلم، ووسائل التعليم، ومعاهد وجامعات، وداعمون وغير ذلك من المقومات التي هي جديرةٌ بإخراج أعدادٍ كبيرةٍ من النابغين في مختلف مجالات التعليم والدعوة والإصلاح، وفي مختَلف التخصصات بحيث لا يبقى بابٌ مما يحتاجه المسلمون إلا وجدوا فيه الكفاءاتِ الكثيرةَ التي تسُد الحاجة وتزيد، **لكنّ الواقعَ غيرُ ذلك**.

فإن الذي يلفت النظر = أنّه مع كثرةِ مقوماتِ النجاح، وقوتِها، وتنوعِها لإخراج الكفاءات في المجال التعليمي والدعوي فإنّ الواقع يشهد بخلاف ذلك.

يشهد بقلّةِ بل بنُدرةِ الكفاءات في المجال العلمي والتعليمي في مختلف تخصصاته:

- ✓ **سواءٌ في ذلك علومُ المقاصدِ:** كالتفسيرِ، وشرحِ السنةِ، والعقيدةِ، والفقهِ،
- ✓ **أو في العلومِ التي تُسمّى بعلوم الآلة:** كأصول التفسير، وأصول الفقه، وعلوم العربيّة، وعلم مصطلح الحديث، وعلم المنطق.
- ✓ **أو في العلوم الإنسانيّة:** التي تتقاطع كثيرا مع أبوابٍ في العلم الشرعي كالفكر والفلسفة وتاريخ العلوم والأفكار والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيره.

وفي المجال الدعوي بمختلف صُوَرِه كدروسِ الوعظِ وخُطبِ الجمُعة ودروسِ المساجد وتوعيةِ الناس بفقه المواسم (الصيام، الحج، العيدين، عاشوراء، عرفة ... ونحوِها، وتبصيرِ الناس عند الفِتن وتثبيتهم، وغير ذلك من مهام الداعي وطالب العلم.

فنُدرة الكفاءات في كل هذه المجالات بالنسبة للمال والجهد المبذول فيه وبالنسبة لحاجة الناس أمرٌ واضحٌ ظاهرٌ لا أحسبُ أحدا يُخالف فيه إلا مَن لا يعي معنى الكفاءةَ والتخصصَ حقّ الوعي.

فنحن أمام ظاهرةٍ ينبغي الوقوفُ عندها وتصورُها، وتحليلُها، والبحثُ عن أسبابها ومحاولة علاجها.

لكل من أفراد المنظومة التعليمية نصيب في تلك النتيجة:

الطالبُ، والمعلمُ، ومنهجُ التدريسِ، وبرنامجُ الدراسة، والإدارةُ، والداعمُون، ومنهجُ التقييم، ومعيارُ النجاح، وغيرُ ذلك من مفردات المنظومة.

ولا يُبرّؤ الإنسان نفسه من التقصير بلا شك، ولا يزال العبدُ بخير ما جعل الحقَّ والخيرَ مقصودَه:

عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عَلَيْهِ.

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

المقصود بتحقيق أهداف طلب العلم خُلقيا ومعرفيا ومهاريا:

وبالتأكيد فإني إذ أذكر قلة النوابغ فإني بالتأكيد لا أعني بالنبوغ: مجردَ قدْرٍ ما قرأ من الكتب وحفظ من المتون وجمعَ من معلومات؛ إنما أتحدثُ عن منظومةٍ كاملةٍ هي محصلةُ الطلبِ، وهي معيارُ التقييم، وميزانُه الدقيق:

مِن ترقي الطالبِ وظهورِ أثر ذلك في:

تزكيةِ نفسه، وسلامةِ قلبه، واجتهاده في العبادة فرائضِها ونوافلِها.

وكمّ المعلومات التي حصّلها، وكم المهارات التي يُحسنها

من ((حُسن قراءةٍ وفهمٍ ونظرٍ واستدلالٍ ومنطقٍ وعرضٍ وتقريرٍ ومناقشةٍ ونقدٍ وكتابةٍ وتدقيقٍ وإبداعٍ علمي وإضافة))

ومن ذلك: أثرُ الانتفاع بعلمه من شرحٍ وتعليمٍ ودعوةٍ وإصلاحٍ وغير ذلك من مقاصدِ العلم

هذه أخصّ مُخرجات الطلب وآثارُ العلم:

- ✓ **العلمُ** الذي يُرجا به رحمةُ الله ويُحذر الآخرة.
- ✓ **العلمُ** الذي يُبصرُ به صاحبُه الفتنةَ وهي مُقبلةٌ فيعلمُ ويُعلّمُ الناسَ: أن ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحا
- ✓ **العلمُ** يحمل صاحبَه على بيان الحق، والرجوع عن الخطأ
- ✓ **العلمُ** الذي يُغني صاحبَه عمّا في أيدي الناس فلا يَمدُّ عينَيْه إلى مما مُتعوا به، ويعلم أن رزقَ الله خير وأبقى.
- ✓ **العلمُ** الذ يجعلُه يُحبُّ الخيرَ لإخوانه، يشجعهم ويفرحُ بتميُّزهم ويشهدُ لهم، ويتعلمُ منهم، ويُعلمُ، ويطلبُ نصحَهم ويَقبلُ، ويُقدّمُهم، ويعلمُ أنهم سندُه
- ✓ **العلمُ** الذي يزيدُ به العبدُ رحمةً بالخلق.
- ✓ **العلمُ** الذي يصيرُ صاحبُه به من خير أمة يدعو إلى الله وإلى دينه، لا إلى نفسه ولا إلى طائفته وجماعته...وغير ذلك من آثار الفقه في الدين، ذلك أيها الإخوة هو العلمُ الذي يُخشى به اللهُ.
- ✓ **العلمُ** الذي يسلك بصاحبه خطواتٍ إلى الجنة.
- ✓ **العلم** الذي أمر الله نبيه أن يسأله الزيادة منه ﴿وقُلْ ربِّ زِدْنى عِلمًا﴾.

ولكن: ثَمَّ عوائقٌ تحولُ بين الطالبِ وبين الشروعِ في الطلب، أو تمنعُ تحصيله ثمرتَه (إيمانيًا، وخلقيا، ومهاريا، ومعرفيا)

وتلك المعوقات هي خلاصة تجربة لي مستمرة منذ كنتُ منشغلا بجمعها وتحليلها ومعرفة أسبابها وطلب علاجها وسُبل الوقاية منها، واذكرُ هنا أشهرها، ومنها ما يصد عن الطلب أو عن الاستمرار عليه أو عن تحقيق أهدافه.

فهذا هو موضوع المحاضرة الثانية من هذه الدورات، **ويمكن أن تراجعوا خطة المحاضرات.**

شرح برنامج المحاضرات

مقدمات (تهيئة الطالب لمشروع الفقه في الدين)

المحاضرة الأولى:

- ✓ معوقات تصدُّ عن الشروع في طلب العلم أو الاستمرارِ عليه.
- ✓ أو تحقيقِ أهدفه الخُلُقية، والمهاريَّة، والمعرفية، والدعويّة.
- ✓ وسُبلُ الوقاية منها، وعلاجها.

المحاضرة الثانية:

- ✓ حاجة طالب العلم إلى الاستقامة وتزكية النفس وسلامة القلب وحُسن الخلق.

المحاضرة الثالثة:

- ✓ (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).
- ✓ وفيها الحديث عن انحرافات تسربت إلى طلاب العلم (الأسباب والعلاج).

المحاضرة الرابعة:

- ✓ (يا طالب العلم انهض لتأخذ مكانك في الإصلاح (وقفات مع مقومات طالب العلم)

المحاضرة الخامسة:

- ✓ قواعد من الوحي في تزكية النفس وشُعب الإيمان (ووضع برنامج عملي)

المحاضرة السادسة:

- ✓ طالب العلم مع الوحي (القرآن وبيانُه من هدي النبي صلى الله عليه)

المرحلة الثانية من محاضرات تأسيس الطالب
((رفع كفاءة طالب العلم))

أولاً: أسباب رفع الكفاءة:

- **الإرادة:**
  - ✓ أسباب تقوية العزم والصبر على الطلب
- **القدرة (الأدوات):**
  - ✓ العادات اليومية المعِينة على التحصيل
  - ✓ إدارة الوقت
  - ✓ تهيئة الجو
  - ✓ تخطي العقبات
  - ✓ تكوين مكتبة

ثانياً: جوانب رفع الكفاءة:

- **الكفاءة العلمية:**

حُسن التصور:

- ✓ تصور مقاصد طلب العلم
- ✓ تصور خارطة العلوم
- ✓ تصور العلم مَحِل الدراسة
- ✓ كيف تُخطط للباب الذي تُريد طلبه

التلقي (التحصيل):

- ✓ ماذا أتلقى
- ✓ عمّن أتلقى
- ✓ معايير اختيار السبل المناسبة، والمعلم المناسب
- ✓ الانتفاع من سُبل التحصيل
- ✓ مصادر التكوين وسُبل التحصيل

مع المُعلم:

✓ الانتفاع من دروس الصف، والدورات، والمحاضرات

التعلم الذاتي:

- سُبل التحصيل وكيفية الإفادة منها
- جدول الدروس المسموعة والمرئية
- جدول المطالعة والقراءة السريعة
- جدول الدراسة المركّزة (التأصيل)
- جدول الحفظ
- جدول جرْد المطوّلات (كُتب السُّنن والآثار والمجموعات العلميّة المطوّلة)
- جدول تلخيص الكتب المهمة في بابها والأبحاث المحقَّقة في بابها
- جدول المدارسة الجماعيّة
- جدول تحضير الكتب للتدريس، وتحضير المحاضرات والخُطب
- جدول البحث العلمي في المسائل المختارة للتدريب على البحث والدراسة

ما بعد التلقي:

- الدراسة والمذاكرة والفهم.
- تثبيت المعلومات وتطويرها.
- استخراج الفوائد وتقييدها.
- التوظيف والاستثمار لما حصّلت.

مهارات طالب العلم:

- مهارة القراءة (تدريب عملي)
- مهارة الفهم والاستيعاب
- مهارة التذكُّر والحفظ
- مهارة التفكيك وتحليل المقروء وتقسيمه (تدريب عملي)
- مهارة البحث ودراسة المسائل (تدريب عملي)
- مهارة الاستدلال والعرض والتقرير
- مهارة النقد والاختبار والفحص
- مهارة الحوار والمناقشة والمناظرة

- **الكفاءة الإصلاحية:**
  - ✓ الدعوة.
  - ✓ التعليم.
  - ✓ التدريس.
  - ✓ التصنيف.

- **الكفاءة البدنية:**
  - ✓ المحافظة على الطاعات والعمل الصالح.
  - ✓ اللياقة.
  - ✓ التغذية.
  - ✓ العادات اليومية.

- **الكفاءة الأسرية:**
  - ✓ (قواعد إصلاح طالب العلم أسرته).

والحمد لله رب العالمين

كتبه

حسين عبد الرازق